تفسير

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

١. اختلفوا في معنى ﴿ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ هاهنا. فروى الكلبي بإسناده عن ابن عباس أن الله -تعالى- خلق الموت في صورة كبش أملح، لا يمر بشيء إلا مات، ولا يجد رائحته شيء إلا مات، وخلق الحياة في صورة فرس بَلْقاء[١] فوق الحمار ودون البغل، لا يمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء إلا حيَّ[٢].

وقال مقاتل: «يعني بالموت نطفة وعلقة ومضغة، والحياة[٣] نفخ الروح»[٤].

---

(١) بَلَقُ الدابة سواد وبياض. وهو مصدر، الأبلق: ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. اللسان (بلق) ١/ ٢٥٩.

(٢) انظر: تنوير المقباس ٦/ ١٠٤، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٩/ ١٩٧، والكشف والبيان ١٢/ ١٥٤ب. قال الألوسي: «وهو أشبه شيء بكلام الصوفية لا يُعقَل ظاهره». روح المعاني ٢٩/ ٤.

(٣) في (ك): (في الحياة).

(٤) انظر: تفسير مقاتل ١٦١أ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٠٧.

وقال قتـــادة : «يعني موت الإنســـان أذل الله به ابـــن آدم ، والحياة حياته في الدنيا»[١] .

وروى عطاء عن ابن عباس قال : «يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة دار الحيوان»[٢] .

٢-٣. قولـــه تعالى : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ مضى الكلام في معنى ابتلاء الله في مواضع[٣] .

والمعنى : لنعاملكـــم معاملة المختبر ، فيرى من يعتبر بهـــا ، فيعلم قدرة الله الذي قدر عـــلى خلق ضدين ؛ الحياة والموت ، فيحذر مجـــيء الموت الذي ينقطع به اســـتدراك ما فات ، ويســـتوي فيه الفقير والغني والملوك والسوقة ، ويعلم أن خلفهما قاهر الجميع[٤] .

وهـــذا المعنى في ليبلوكم على قول الكلبي ، وأما عـــلى قول قتادة[٥] فقال أبو إســـحاق : «﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾[٦] : خلق الحياة ليختبركم فيها ، وخلق الموت ليبعثكـــم ويجازيكم بأعمالكم»[٧] . وعـــلى هذا المعنى : خلق المـــوت ليبعثكم[٨]

---

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٤ ، وجامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٢ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٦٩ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٥٥ .

(٣) الابتـــلاء : بمعنـــى الامتحان والاختبار ، ومنـــه قوله تعـــالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ سورة محمد ٣١ .
ويكون في الخير والشر معاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء :٣٥] .
انظر : اللسان (بلا) ١/ ٢٦٤ ، والمفردات (بلى) ٦١ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٥٦ .

(٥) في (س) : (وأما على قول قتادة) زيادة .

(٦) (خلق الموت والحياة) ساقطة من (س) .

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ١٩٧ .

(٨) في (س) : (ويجازيكم بأعمالكم . وعلى هذا المعنى : خلق الموت ليبعثكم) زيادة .

للجـــزاء ، وخلق الحياة للابتلاء . والـــلام في ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ تتعلق بخلق الحياة دون خلق المـــوت ؛ لأن الابتلاء بها وفيها ، وحذف ما خلق الموت[١] له ، هذا معنى ما ذكره أبو إسحاق .

وأما على قول مقاتل فالمعنى : ليبلوكـــم في ما بين كونكم مواتاً نطفاً وعلقاً ، وبين منتهى الحياة ، والمعنى : خلقكم أمواتاً أولاً ثم خلق لكم الحياة ليرى عملكم الذي تستحقون به الجزاء[٢] .

قال صاحب النظم : «معنى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ؛ ليكون ما قَدَّر عليكم من الخير والشر فتجـــازَون به ؛ لأن[٣] الجزاء بما[٤] كان ومـــا يكون من الخلق» . وســـمي وقوع ذلك الذي قدر علينا بلوى منه ؛ تحذيـــراً وتخويفاً . وعلى ما رواه عطاء في تفســـير الموت والحياة يتعلق قوله : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ بخلق الموت والحياة على الوجه الذي ذكرنا في تفسير الكلبي .

قال الفرَّاء والزَّجَّاج : «المتعلق بأيكم مضمر ؛ لأن المعنى والتقدير : ليبلوكم فيعلم أو فينظر أيكم أحســـن عملاً ، وارتفعت (أي) بالابتداء ولا[٥] يعمل فيها ما قبلها ؛ لأنها على أصل الاستفهام ، وذلك أنك إذا قلت : لأعلم أيكم أفضل ، كان المعنى : لأعلم أزيـــد أفضل أم عمرو . وأعلم لا يعمـــل في ما بعد الألف ، وكذلك لا يعمل في أيّ ، لأن المعنى واحد»[٦] ، وهذا مما ســـبق الكلام فيه . ومثل

---

(١) في (س) : (لأن الابتلاء بها وفيها ، وحذف ما خلق الموت) زيادة .

(٢) انظر : تفسير غرائب القرآن ٢٩/ ٥ .

(٣) (س) : (لأن ، بما) زيادة .

(٤) (س) : من (المتعلق بأيكم) إلى (بالابتداء ولا) زيادة .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٦٩ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ١٩٧ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٦٩ .

هذا قوله : ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ [القلم :٤٠] يريد : سلهم ، ثم انظر : أيهم يكفل بذلك . والكلام في إعراب (أيّ) في ما ذكرنا[١] .

ومعنى قوله : ﴿ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ قال أبو قتادة[٢] : «سألت رسول الله ﷺ عنه ، فقال : يقول : أيكم أحسن عقلاً[٣] . ثم قال : أتمكم عقلاً أشدكم لله خوفاً ، وأحسنكم في ما أمر الله به ونهى عنه نظراً »[٤] . ونحو هذا قال قتادة : «أتم عقلاً ، وأورع عن محارم الله ، وأسرع في طاعة الله»[٥] .

وإنما جاز أن يفسر حسن العمل بتمام العقل ؛ لأنه يترتب على العقل ، فمن كان أتم عقلاً كان أحسن عملاً على ما ذكره النبي ﷺ في حديث أبي قتادة[٦] .

---

(١) وأبو قتادة الحارث بن ربعي ـرضي الله عنهـ ، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، دعا له رسول الله ﷺ . توفي وهو ابن سبعين سنة ، وذلك سنة أربع وخمسين بالمدينة المنورة .
انظر : طبقات ابن سعد ٦/ ١٥ ، والتاريخ الكبير ٢/ ٢٥٨ ، وصفة الصفوة ١/ ٦٤٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٤٩ ، والبداية والنهاية ٨/ ٦٨ .

(٢) في (ك) : (اتقوا أيكم أحسن عملًا) .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٢٥٠ ، وفيه مرة ، وهو ضعيف .
وأخرجه داود بن المجبر في كتاب العقل ، والحارث في مسنده عنه ، والطبري ، وابن مردويه من طريقه عن عبدالواحد بن زيد ، عن كليب بن وائل ، عن ابن عمر ، وداود ساقط . وأخرجه ابن مردويه أيضاً من طريق آخر ، وإسناده أسقط من الأول ، وأخرجه الثعلبي في الكشف والبيان ١٢/ ١٥٤/ ب وفي سنده داود بن المجبر أيضاً . وانظر : تخريجات الكشاف ٨٦ .

(٤) انظر : زاد المسير ٤/ ٧٩ ، وأخرجه الثعلبي عن ابن عمر عن النبي ﷺ بالسند الأول . وذكره البغوي في تفسيره من دون سند . انظر : الكشف والبيان ٢/ ١٥٤ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٦٩ .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٥٦ .
قلت : وتفسير المؤلف للآية بناه على الحديث المذكور ، وهو حديث ضعيف . والأفضل والأصح من هذا ما ذكره ابن كثير ـرحمه اللهـ عند تفسيره لآية سورة هود : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ قال : «ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله عز وجل ، على شريعة رسول الله ﷺ ، فمتى فقد العمل واحداً من هذين الشرطين حبط وبطل» . وانظر : زاد المسير ٤/ ٧٩ .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٥٥أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٦ .

وروي عن الحسن : «أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها»[١] . قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ ؛ أي في انتقامه ممن عصاه فلم يعتبر بما خلق ولم يستدل على توحيده وقدرته ، ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ لمن تاب إليه ، واستدل بصنيعه على توحيده . ثم أخبر عن صنعه الذي يدل على توحيده فقال : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «بعضها فوق بعض» .

وقال الكلبي : «كل سماء مقببة على الأخرى يلتصق بها أطرافها ، وسماء الدنيا موضوعة على الأرض مثل القبة»[٢] .

قال الزَّجَّاج : «و﴿ طِبَاقًا ﴾ مصدر ؛ أي طوبقت طباقاً»[٣] .

قوله تعالى : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ . قال مقاتل : «ما ترى يا ابن آدم في خلق السموات من عيب»[٤] .

وقال قتادة : «ما ترى خللاً واختلافاً»[٥] .

وقال السدي : «﴿ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ ؛ أي من اختلاف وعيب[٦] ، يقول الناظر : لو كان كذا كان أحسن»[٧] .

---

(١) انظر : جامع البيان ٢٩/ ٣ ، والكشاف ٤/ ١٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٠٨ .
(٢) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٠٥ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ١٩٨ .
(٣) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٩٨ .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٦١أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٠٨ .
(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٤ ، وجامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٣ .
(٦) (س) : (وعيب) زيادة .
(٧) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٥٧ ، واللسان (فوت) ٢/ ١١٤١ .

قال الكلبي : «هــو الذي يفوت بعضه بعضاً»[١] . وتقــرأ (تُفوُّت)[٢] . قال الفرَّاء : «وهما بمنزلة واحدة ، مثل (تصعر ، تصاعــر)[٣] وتعهدته ، وتعاهدته . قال : والتفاوت : الاختلاف ، يريد : هل ترى في خلقه من اختلاف» ؛ ونحو هذا قال الزَّجَّاج سواء[٤] .

قال ابن قتيبة : «﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾ ؛ أي اضطراب واختلاف ، وأصله من الفوت ، وهو أن يفوت شيء شيئاً ، فيقع الخلل فيهن ، ولكنه متصل بعضه ببعض»[٥] .

قال أبو الحســن الأخفش : «تفاوت أجود ؛ لأنهم يقولون : تفاوت الأمر ، ولا يــكادون يقولون : تَفَــوَّت الأمر»[٦] . واختار أبو عبيــد[٧] (تفوت) ، قال :

---

(١) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٠٨ .
قلت : هذه الأقوال اختلفــت في الألفاظ ، واتحدت في المعنى ، ولذا ذكر بعض المفسرين بعضاً منها ، وذكر غيرهم غيرها . واقتصر بعضهم على معنى واحد .
انظر : الكشف والبيان ٢/ ١٥٥أ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٩٦ .

(٢) قــرأ حمزة والكســائي : (تفوُّت) بضم الواو مشــددة من غير ألف . وقــرأ الباقون ﴿تَفَٰوُتٍ﴾ بألف والتخفيف .
انظر : حجة القراءات ٧١٥ ، والنشر ٢/ ٣٨٩ ، والإتحاف ٤٢٠ .

(٣) قوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان :١٨] .
قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، ويعقوب : ﴿تُصَعِّرْ﴾ بتشديد العين من غير ألف ، وقرأ الباقون : (تصاعر) بتخفيف العين وألف قبلها .
انظر : حجة القراءات ٥٦٥ ، والنشر ٢/ ٣٤٦ ، والإتحاف ٣٥٠ .

(٤) (س) : (ونحو هذا قال الزَّجَّاج ســواء) زيادة . وانظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٠ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ١٩٨ .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٧٤ .

(٦) (تفوت الأمر) ساقطة من (س) . وانظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٠٥ .

(٧) في (ك) : (عبيدة) .

«يقال : تفوت الشيء إذا فات» . واحتج بما روي في الحديث «أن رجلاً تفوت على أبيه في ماله»[١] .

قوله تعالى : ﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ ﴾ . قال مقاتل[٢] : «اردد البصر» . وهذا معنى قول الفرَّاء . قال : «إنما قال :﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ ﴾ لأنه قال : ﴿ مَّا تَرَىٰ ﴾ »[٣] .

قولـــه : ﴿ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ قال المفسرون : من فروج وصدوع وشـــقوق وفتوق وخروق . كل هذا من ألفاظهم[٤] .

ومنه التفطر والانفطار ، وقد مر[٥] .

---

(١) نقله المؤلف عن الأزهري من التهذيب (فوت) ١٤/ ٣٣١ ، ولفظه : «أن رجلًا تفوت على أبيه في ماله فأتى أبوه النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال : اردد على ابنك فإنما هو سهم من كنانتك» .
قال الطبري : «والصـــواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتـــان بمعنى واحد» . انظر : جامع البيـــان ١٢/ ٢٩/ ٣ ، وهذا هو اختيار الفرَّاء والنحاس . وهو قول ســـيبويه . والقراءة بأيهما ثابتة عن الرسول ﷺ فلا عبرة بقول مخالف مهما بلغ علمه وفضله ، والعصمة لمن عصمه الله .
انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٠ ، وإعراب القرآن للنحاس :٣/ ٤٧٠ ، والحجة للقراء ٦/ ٣٠٥ .

(٢) في (س) : (قال مقاتل) زيادة . وانظر : تفسير مقاتل ١٦١أ ولفظه (أعد) .

(٣) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٧٠ .

(٤) انظر : جامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٣ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٥٦أ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٩٦ .

(٥) عند تفسيره الآية (١٤) سورة الأنعام . قال : «﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ؛ أي خالقهما ابتداء على غير مثال ســـبق . . . والفطر ابتداء الخلق . قال ابن عباس : كنت ما أدري ما فاطر السموات حتى احتكم إليَّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها ، وأنا ابتدأت حفرها . . . وقال ابن الأنباري : أصل الفطر شق الشيء عند ابتدائه» .

٤ . قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ قال ابن عباس : «يريد مرة بعد مرة»[(١)] . ﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا ﴾ قال مقاتل : «صاغراً»[(٢)] ؛ وهو قول الفرَّاء والزَّجَّاج[(٣)] .

وقال ابن قتيبة : «مبعداً من قولك : خسأت الكلب إذا باعدته»[(٤)] .

وقال المبرِّد : «الخاسئ : المبعد المصغر -والله أعلم- كالذي قصد ففزع[(٥)] عجزاً وصغراً» . وقد أفصح ابن عباس هذا ، فقال : «الخاسئ الذي لم ير ما يهوى»[(٦)] . ومضى تفسير الخاسئ في سورة البقرة[(٧)] .

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «وهو كليل كال منقطع لا يرى عيباً ولا فطوراً»[(٨)] .

وقال الكلبي : «الحسير : المعي»[(٩)] . قال الليث : «الحسر والحسور : الإعياء . تقول : حسرت الدابة والعين ، وحسرها بعد الشيء إذا حدقت نحوه . قال رؤبة[(١٠)] :

يَحْسُرُ طَرْفَ عَيْنِه فَضَاؤُه» .

---

(١) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٧٠ .
(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٦١ب .
(٣) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٠ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ١٩٨ .
(٤) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٧٤ .
(٥) في (س) : (قصدٍ) زيادة . وانظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٥٨ .
(٦) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٠٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٠ .
(٧) عند تفسيره الآية (٦٥) من سورة البقرة . قال : «الخسأ : الطرد والإبعاد . يقال : خسأته خسأً فخسأ وانخسأ ، فهو واقع ومطاوع . ويقال للكلب عند الزجر والإبعاد : اخسأ» .
(٨) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٠٥ ، وتفسير مقاتل ١٦١ب ، والكشف والبيان ٢/ ١٥٦أ .
(٩) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٥ .
(١٠) ديوان رؤبة ٣ ، وتهذيب اللغة (حسر) ٤/ ٢٨٦ ، واللسان (حسر) ١/ ٦٣٢ .

فحاصل[١] هذا أن الحسير يجوز أن يكون مفعولاً من حسره بعد الشيء كما ذكر رؤبة ، ويجوز أن يكون فاعلاً من الحسور الذي هو الإعياء ؛ وهو قول الفرَّاء : «وهو كليل كما يحسر الإبل إذا قومت عن هزال وكلال ، فهي[٢] الحسرى ، واحدها حسير»[٣] .

قال أبو إسحاق : «أي وقد أعيا من قبل أن يرى في السماء خللاً»[٤] . والمعنى أنه وإن كرر النظر وأعاد بصره في السماء حتى يكل ويعيا لم ير فيها فطوراً ولا تفاوتاً .

٥. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ . قال المفسرون : هي الأدنى إلى الأرض ، وهي التي يراها الناس ، ﴿ بِمَصَٰبِيحَ ﴾ واحدها مصباح وهو السراج . وذكرنا ذلك في قوله : ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور :٣٥] ، وهو السراج . ثم يسمى الكوكب أيضاً مصباحاً لإضاءته . قال الليث : «والمصابيح من النجوم أعلام الكواكب»[٥] .

قال ابن عباس : «بنجوم لها نور»[٦] .

---

(١) في (ك) : (مجاز) .
(٢) في (س) : (فهن) .
(٣) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٠ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٥٩ .
(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ١٩٨ .
(٥) انظر : تهذيب اللغة (صبح) ٤/ ٢٦٧ ، واللسان (صبح) ٢/ ٤٠٣ .
(٦) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٠٥ ، ولفظه (بالنجوم) .

وقال قتادة : «خلق الله النجوم لثلاث : زينة للسماء ، وعلامات يهتدى بها ، ورجوماً للشياطين»[١] ؛ فذلك قوله : ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ . قال ابن عباس : «يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع»[٢] .

قال أبو علي : «فإن قيل : كيف يجوز أن تكون المصابيح زينة مع قوله : ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ ، فالقول إنها إذا جعلت رجوماً[٣] لهم لم تزل فتزول الزينة بزوالها ، ولكن يجوز أن ينفصل منها نور يكون رجماً للشياطين كما ينفصل من السرج وسائر ذوات الأنوار ما لا يزول بانفصالها منها صورتها»[٤] . وهذا كما قال بعض أهل المعاني : ينفصل من الكوكب شهاب نار[٥] ، وهذا كقوله : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ الآية [الحجر :١٦] ، وقوله : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ الآية [الصافات :٦] .

قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ ﴾ ؛ أي في الآخرة ﴿ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ . قال المبرِّد : «سعرت النار فهي مسعورة وسعير ، كقوله : مفتولة وفتيل»[٦] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وفيه زيادة قوله : «فمن يتأول منها غير ذلك فقد قال برأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به» . انظر : جامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٩٦ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ٢/ ١٥٦ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٠ ، ولم ينسب إلى قائل ، وهو ظاهر .

(٣) في (س) : (رجوماً) زيادة .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢١١ .

(٥) انظر : روح المعاني ٢٩/ ٩ .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٦٢ .

٧ـ٨. قوله : ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا ﴾ . قال مقاتل : «صوتاً مثل أول صوت الحمار»[١] . وقال عطاء : «يريد : سمعوا لأهلها شهيقاً[٢] ، فجعل[٣] الشهيق لأهل جهنم دونها» . والقول هو الأول[٤] .

وقال الزَّجَّاج : «يسمع الكفار للنار شهيقاً ، وهو أقبح الأصوات ، وهو كصوت الحمير»[٥] .

وقال المبرِّد : «هو ـ والله أعلم ـ تنفس كتنفس المتغيظ»[٦] . وتفسير الشهيق قد سبق[٧] .

قوله : ﴿ وَهِىَ تَفُورُ ﴾ . قال الليث : «كل شيء جاش فقد فار ، وهو فور القدر ، والدخان ، والغضب ، والماء من العين»[٨] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٦١ب .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٦٣ .

(٣) في (ك) : (فجعلها) .

(٤) ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان :١٢] قال ابن المنير : «لا حاجة إلى حمله على المجاز فإن رؤية جهنم جائزة وقدرة الله تعالى صالحة ، وقد تضافرت الظواهر على وقوع هذا الجائز ، وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدراكاً حسياً وعقلياً . ألا ترى إلى قوله : ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا ﴾ وإلى محاجَّتها مع الجنة ، وإلى قولها : ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ وإلى اشتكائها إلى ربها ، فأذن لها في نفسين ، إلى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل إلى تأويلها . .» ، حاشية الكشاف ٣/ ٩٠ .

(٥) انظر : معاني الزَّجَّاج ٥/ ١٩٩ .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٦٣ .

(٧) عند تفسيره الآية (١٠٦) من سورة هود . الشهيق ردُّ النَّفس . يقال : شَهَقَ يشهَق ويشهِق ويشهُق شهيقاً ، وبعضهم يقول : شهوقاً . ونحو هذا روى أبو عبيد عن أبي زيد . وهو قول جميع أهل اللغة . والشهيق آخر صوت الحمار إذا نهق . وقيل : الشهيق في الصدر . وعن ابن عباس : «الزفير الصوت الشديد ، والشهيق : الصوت الضعيف» .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (فار) ١٥/ ٢٤٧ ، واللسان (فور) ٢/ ١١٤٣ .

قال ابن عباس : «تغلي بهم كغلي المرجل»[١] .

وقال مجاهد : «تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل»[٢] . ويجوز أن يكون هذا من فور الغضب .

قال المبرِّد : «يقال : تركت فلاناً يفور غضباً»[٣] . يدل على هذا المعنى قوله : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ ؛ أي تنقطع من غيظها عليهم فيُماز بعضها من بعض كما تميز الشيء ؛ أي يفرق هذا المعنى[٤] قول المفسرين ، وأهل المعاني ، قال ابن قتيبة : «تكاد تنشق غيظاً على الكفار»[٥] .

وقال المبرِّد : «ويقال للغضبان : تركته يتميز عليك غيظاً»[٦] . ولفظ المفسرين في تفسير : ﴿ تَمَيَّزُ ﴾ : تفرق[٧] .

قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ الفوج : الجماعة من الناس . والأفواج : الجماعات في تفرقة[٨] ؛ ومنه قوله : ﴿ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ :١٨] .

---

(١) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٥٦ب ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٦٣ .

(٢) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٥٦ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢١٢ ، والدر ٦/ ٢٤٨ .

(٣) في (ك) : (غيضاً) وانظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٦٣ .

(٤) في (س) : (المعنى) زيادة .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٧٤ .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٦٣ .

(٧) وهو قول ابن عباس ، والضحاك ، وابن زيد ، ومقاتل .
انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٠٧ ، وتفسير مقاتل ١٦١ب ، وجامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٩٧ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (فوج) ١١/ ٢١٢ ، واللسان (فوج) ٢/ ١١٤٢ .

وقوله : ﴿ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ ﴾ وهو سؤال توبيخ . قال أبو إسحاق : «وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب»[١] .

١٠. ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي[٢] وعطاء : «لو كنا نسمع الهدى أو نعقله»[٣] . وهذا يدل على أن الله -تعالى- لم يخلق لهم سمع الهدى ولا معرفته ، لأنهم كانوا ذوي أسماع وعقول صحيحة ، ولم يريدوا بقولهم : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ أنهم صم الأسماع مجانين ، ولكن أرادوا أنهم كانوا صمًّا عن الخير ، غافلي القلوب عن الهدى .

وقال أبو إسحاق : «أي لو كنا نسمع سمع من يعي ويفكر ، أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار»[٤] .

١١. قال الله تعالى : ﴿ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ ﴾ قال مقاتل : «يعني بتكذيبهم الرسل»[٥] ، وهو قولهم : ﴿ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ والذنب هاهنا في معنى الجمع ؛ لأن فيه معنى الفعل كما يقال : خرج عطاء الناس ؛ أي أعطياتهم ؛ هذا قول الفرَّاء[٦] . ويجوز أن يراد بالواحد المضاف الشياع ، كقوله : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم :٣٤ ، النحل :١٨] ، وقد مر في مواضع .

---

(١) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٩٩ .
(٢) في (س) : (الكلبي و) زيادة .
(٣) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٠٧ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٥٦ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٧١ .
(٤) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٩٩ .
(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٦١ب .
(٦) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٧١ .

وقوله[١] : ﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ قال المفسرون : «فبعداً لهم»[٢] . والسحق : البعد ، وفيه لغتان : التخفيف والتثقيل[٣] كما تقول في العُنق والطنب[٤] ؛ وذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج :٣١] . قال أبو إسحاق : «(سحقاً) منصوب على المصدر . المعنى : أسحقهم الله سحقاً ؛ أي باعدهم من رحمته مباعدة»[٥] .

قال أبو علي : «وكان القياس : إسحاقاً ، فجاء المصدر على الحذف كقولهم : عمرك الله ، وكما قال :

وَإِنْ أَهْلِكْ فَذلِكَ كانَ قَدَري»[٦]

أي تقديري[٧] .

١٢ . ثم أخبر عن المؤمنين وعما أعد لهم في الآخرة ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك :١٢] .

---

(١) في (س) : (وقوله) زيادة .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٦٥ . وقال ابن جبير في ما أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٥٣٩ : «وادٍ في جهنم» .

(٣) قرأ الكسائي : (فَسُحُقاً) بضم الحاء ، وقرأ الباقون : ﴿ فَسُحْقًا ﴾ بتخفيفها .
انظر : حجة القراءات ٧١٦ ، والنشر ٢/ ٢١٧ ، والإتحاف ٤٢٠ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧١ .

(٤) تقول العنق والعنق ، والطنب والطنب ، والطنب هو حبل الخباء والسرادق ونحوهما . اللسان (طنب) ٢/ ٦١٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٩٩ .

(٦) للشاعر يزيد بن سنان : وهو بتمامه :
فإنْ يَبْرَأ فَلَمْ أَنْفِثْ عليه وإنْ يَهْلِكْ فذلكَ كان قَدْري
انظر : أمالي ابن الشجري ٢/ ١١٠ ، والمخصص ٩/ ٩٢ ، والمفضليات ٧١ ، والحجة ٢/ ١٢٨ .

(٧) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٠٧ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : «يخافون عذاب ربهم ولم يروه فيؤمنون به خوفاً من عذابه»[١] .

١٣. ثم رجع إلى خطاب الكفار فقال : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ قال مقاتل والكلبي : «أسروا قولكم في محمد ، أو اجهروا له بالعداوة وتكلموا علانية»[٢] : ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب .

قال ابن عباس : «كانوا ينالون من رسول الله فيخبره جبريل ، فقال بعضهم لبعض : أسروا قولكم كيلا يسمع إله محمد . فأنزل الله هذه الآية»[٣] .

١٤. ثم احتج على ذلك بقوله : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ، والظاهر أنَّ من خلق هو الله تعالى . والمعنى : ألا يعلم ما في الصدور من خلقها وخلق القول ؛ أي خالق الصدور[٤] والأقوال عالم بها وبما فيها ؛ وهذا معنى قول مقاتل[٥] . وقد حذف مفعول (خَلَقَ) لأن ما قبله من ذكر القول والصدر يدل عليه . ويجوز أن يكون (خَلَقَ) بمعنى المخلوق . فيكون

---

(١) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٠٨ ، وتفسير مقاتل ١٦١ب .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٦١ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢١٣ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٥٧أ ، وأسباب النزول للواحدي ٥٠٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧١ .
قلت : وفي الآية وجه آخر ، وهو حملها على العموم ، والمراد أن قولكم وعملكم لا يخفى على من يعلم السر وأخفى ، فاحذروا من المعاصي . ويدخل في هذا ما يسره المشركون في أمر النبي ﷺ ، وهذا المعنى هو المعتمد عند ابن جرير ، وابن كثير .
انظر : جامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٩٧ .

(٤) في (س) : (من خلقها وخلق القول . أي خالق : الصدور) زيادة .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٦١ب ، ونسبه الثعلبي إلى أهل المعاني . الكشف والبيان ١٢/ ١٥٧أ ، وهذا هو المعتمد عند ابن جرير . انظر : جامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٥ .

المعنى : ألا يعلم الله من خلقه . أي مخلوقه[١] ، وحذف العائد إلى الموصول .

قوله : ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ﴾ قال مقاتل : «لطف علمه بما في القلوب ، ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ بما فيها من السر والوسوسة»[٢] .

وتكلم صاحب النظم في هذه الآية فقال : «قوله : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ ﴾ استفهام إنكار لما يذهب إليه الكفار والجهال من أنه تخفى عليه الضمائر . واختلف في قوله (مَنْ) ، فزعم بعضهم أنه هو الله جل وعز على تأويل : ألا يعلم الخالق الذي خلق الخلق ، فيكون (مَنْ) في موضع رفع . وزعم غيره أن (مَنْ) في موضع نصب[٣] ، وقوله : (يعلم) واقع عليه على تأويل : ألا يعلم الله من خلقه ؛ بمعنى يعلم ما كان ويكون منه سرّاً وجهراً وإضماراً» ، وزاد وجهاً آخر فقال : «وزعم بعضهم أن (مَنْ) بمثابة (ما) ، كما تكون (ما) بمثابة (من) في قوله : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ [الشمس :٥] ، وإذا كان بمعنى (ما) كان اسماً لما يسر الخلق ويجهرونه ويضمرونه في صدورهم ، فيكون قد جعل أفعال العباد مخلوقة على تأويل : ألا يعلم الله ما هو خلقه من أفعالهم ، وإن كان سرّاً أو إضماراً فيكون ذلك حجة لمن أثبت القدر ، لأنه جعله مخلوقاً»[٤] .

---

(١) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٧١ ، والكشاف ٤/ ١٢٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٦١ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧١ .

(٣) وهذا التأويل مردود عند مكي ؛ لأنه يخرج الكلام عن عمومه ويدفع عموم الخلق عن الله عز وجل . انظر : مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٤٦ . قلت : وما ذهب إليه مكي أولى في تفسير كلام الله تعالى ، وحيث وجد وجه آخر لتفسير الآية فلا حاجة إلى مثل هذا التأويل ، والله أعلم .

(٤) انظر : مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٤٦ . قلت : والعلماء من أهل السنة يرون القول الأول ، وهو أن يكون (من) فاعلاً مراداً به الخالق ومفعول العلم محذوف ، وكذا مفعول الخلق . والتقدير : ألا يعلم السر والجهر من خلقهما .
انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٣ ، ودقائق التفسير ٥/ ١٣ ، والانتصاف بهامش الكشاف ٤/ ١٢٣ .

١٥. قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾، الذلول من كل شيء: المنقاد الذي يذل لك. ومصدره الذل، وهو الانقياد واللين، ومنه يقال: دابة ذلول[١]؛ وفي وصف الأرض بالذلول قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: «سهل لكم الأرض»[٢]. والمعنى على[٣] هذا أنه لم يجعلها بحيث يمتنع المشيء فيها بالحزونة[٤] والغلظ.

وقال مقاتل: «أثبتها بالجبال؛ لئلا تزول بأهلها»[٥]. وهو قول الكلبي[٦]. وعلى هذا القول معناه أنه سخرها لنا بأن أثبتها، ولو كانت تتكفأ متمايلة لم تكن منقادة لنا.

قوله: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ أمر إباحة. ومعناه البيان عن كونها ذلولاً. وفي المناكب قولان:

أحدهما: أنها الجبال، وهو قول قتادة والضحاك وابن عباس. قالوا: «جبالها وآكامها»[٧]. وسميت الجبال مناكب؛ لأنها مشبهة بمناكب الإنسان وهو الجيد الشاخص من طرفيه[٨]. والجبال شاخصة عن الأرض.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (ذل) ١٥/ ١٢، ومفردات الراغب (ذل) ١٨٠.

(٢) انظر: الكشف والبيان ١٢/ ١٥٧ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧١.

(٣) في (ك): (على) زيادة.

(٤) الحزونة: الخشونة، اللسان (حزن) ١/ ٦٢٧.

(٥) وهو القول الثاني. انظر: تفسير مقاتل ١٦١ب، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢١٥.

(٦) في (س): (وهو قول الكلبي) زيادة.

(٧) انظر: تنوير المقباس ٦/ ١٠٨، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٥، وجامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٥، وغرائب القرآن ٢٩/ ٩.

(٨) في (ك): (طرافته).

القول[١] الثاني : أنها النواحي والطرق والفجاج والأطراف والجوانب . وهو قول مجاهد والكلبي ومقاتل والحسن ، ورواية عطاء عن ابن عباس ، واختيار الفرَّاء وابن قتيبة[٢] قال : «﴿ مَنَاكِبِهَا ﴾ : جوانبها ، ومنكبا الرجل جانباه»[٣] .

وذكر أبو إسحاق القولين واختار القول الأول وقال : «أشبه التفسير من قال في جبالها ؛ لأن قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ معناه سهَّل لكم السلوك فيها ، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغ في التذلل»[٤] .

قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ ؛ أي مما خلقه رزقاً لكم في الأرض . وقال ابن عباس : «يريد ما أنبت لكم في السهل والجبل»[٥] .

﴿ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ قال مقاتل : «وإلى الله تبعثون من قبوركم»[٦] .

قال أبو إسحاق : «والمعنى أن الذي خلق السموات بلا تفاوت ، وذلل الأرض ، قادر أن ينشركم ويبعثكم»[٧] .

---

(١) في (ك) : (قوله القول) .

(٢) (س) : (والكلبي ، والحسن ورواية عطاء عن ابن عباس ، وابن قتيبة) زيادة .
وانظر : تنوير المقباس ٦/ ١٠٨ ، وتفسير مجاهد ٢/ ٦٨٥ ، وتفسير مقاتل ١٦١ب ، والكشف والبيان ١٢/ ١٥٧ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧١ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٣/ ١٧١ ، وتفسير غريب القرآن ٤٧٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٥/ ١٩٩ ، وتهذيب اللغة (نكب) ١٠/ ٢٨٦ ، واللسان (نكب) ٣/ ٧١٣ ، وقد وهم ابن منظور ـ رحمه الله ـ بنسبة هذا القول إلى الأزهري مع أن الأزهري نص على نسبته إلى أبي إسحاق .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٣٧١ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٦١ب ، وزاد المسير ٨/ ٣٢٢ .

(٧) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠٠ .

١٦. ثم خـوَّف أهل مكة فقـال : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ . قال المفسرون : «يعني عقوبة من في السماء وعذاب من في السماء»[١] . والمعنى : من في السماء سلطانه ، وملكه وقدرته ، إلا أنه أخرج مخرج ما في السماء تفخيماً لشأن سلطانه كما قال : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام :٣] ما يجري فيهما بإذنه وإرادته لا يخفـى عليه شيء منه . لا بد أن يكون هذا لاستحالة أن يكون الله تعالى في مكان أو موصوفاً بجهة . وذهب بعض أهل المعاني إلى أن[٢] ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ هو الملك[٣] الموكل بالعذاب وهو جبريل . والمعنى : أن يخسف بكم الأرض بأمره[٤] .

﴿ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ قال ابن عباس : «يريد كما تمور السفينة حتى تغرق»[٥] .

---

(١) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٠٩ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧١ .

(٢) (س) : (أن) زيادة .

(٣) (س) : (الملك) زيادة .

(٤) نقل البيهقي عن أحمد بن إسحاق عند هذه الآية قوله : قولـه ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ؛ «أي على العرش فوق السماء كما صحت الأخبار عن النبي ﷺ» . انظر : الأسماء والصفات ٢/ ٣٢٤ .
وفي ٢/ ٣٣٠ قال : ومعنى قوله في هذه الأخبار ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ؛ أي فوق السماء على العرش ، كما نطق به الكتاب والسنة . .
قلت : وما ذكره الواحدي هنا ـ غفر الله له ـ مخالف لما عليه سلف الأمة من إثبات صفة العلو لله تعالى كما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة . وقد أورد الذهبي ـ رحمه الله ـ في كتابه العلو أكثر من تسعين حديثاً ، وآثاراً كثيرة عن السلف رحمهم الله . والكتاب كله في إثبات هذه الصفة ، وجمع ما ورد فيها عن الرسول ﷺ وما قاله علماء الصحابة ومن بعدهم في هذه الصفة .
وانظر : الصواعق المرسلة ٤/ ١٢٤٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٧ ، ١٤١٧ ، وروح المعاني ٢٩/ ١٥ ، وأضواء البيان ١٢/ ٨/ ٤٠٧ .

(٥) لم أجده .

وقال مقاتل : «تدور بكم إلى الأرض السفلى»[١] . وقال الحسن : «تحرك بكم»[٢] . والمعنى على هذا التفسير أن الله -تعالى- يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك ، فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها فيذهبون ، والأرض تمور فتقلبهم إلى أسفل ؛ هذا معنى قوله : ﴿ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ وذكرنا تفسير المور في ما تقدم[٣] .

١٧-١٨ . ثم زاد في التخويف ، فقال : ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ . قال ابن عباس : «كما أرسل على قوم لوط»[٤] فقال : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ [القمر :٣٤] ، ثم هدد وأوعد فقال : ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ . قيل في النذير هاهنا : أنه المنذر ، يعني محمداً ﷺ . وهو قول عطاء عن ابن عباس والضحاك[٥] . وقيل : إنه بمعنى الإنذار ، والمعنى : فستعلمون رسولي وصدقه حين[٦] لا ينفعكم ذلك ، أو فستعلمون عاقبة إنذاري إياكم بالكتاب والرسول ، وهو العذاب[٧] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٤٦٢أ ، وتنوير المقباس ٦/ ١٠٩ .

(٢) في (ك) : (تحوط بكم) . وانظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٥٨ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧١ .

(٣) المور : التحرك والاضطراب . مار الشيء يمور موراً : أي تحرك وجاء وذهب كما تتكفأ النخلة العيدانة . وهي أطول ما يكون من النخل ، ولا تكون عيدانة حتى يسقط كربها كله ، ويصير جذعها أجرد من أعلاه إلى أسفله .
انظر : تهذيب اللغة (مور) ١٥/ ٢٩٧ ، واللسان (مور) ٣/ ٥٤٨ ، و(عيد) ٢/ ٩٣٩ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٠٩ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٧٠ .

(٥) في (س) : (والضحاك) زيادة . وانظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٧٠ ، وغرائب القرآن ٢٩/ ٩ .

(٦) في (ك) : (وصدقه إلى حين) ، والصواب ما أثبته .

(٧) انظر : جامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٩٨ .

و(كيف) في قوله : ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ ينبئ عما ذكرنا من صدق الرسول أو عقوبة الإنذار . ثم أخبر عن غيرهم من الكفار بقوله : ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد عاداً وثمود ، وكفار الأمم»[١] .

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ قال مقاتل : «تغييري وإنكاري أليس وجدوا العذاب حقّاً»[٢] .

١٩. ثم وعظهم ليعتبروا ، فقال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ . قال المفسرون : تصف أجنحتها في الهواء . ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ ؛ أي يقبضنها إلى أنفسها بعد الصف .

قال ابن قتيبة : «يضربن بها جنوبهن»[٣] وقال المبرِّد : «وهذا معنى الطيران ، وهو بسط الجناح وقبضها بعد البسط» . وأنشد هو وأبو عبيدة قول أبي خراش[٤] :

كَأَنَّهُم يُشَبَّثُونَ بِطَائِرٍ ... خَفِيفِ المُشَاشِ عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نُحْضِ
يُبَادِرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فَهْوَ مُهَابِذٌ ... يَحُثُّ الجَنَاحَ بالتَّبَسُّطِ والقَبْضِ[٥]

وعطف قوله : ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ على ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ ؛ لأن معناه : وقابضات ، وهذا بيان عما يوجبه حال الطير في قبضها وبسطها متصرفة في الهواء من الاعتبار ،

---

(١) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١٠٩ ، وزاد المسير ٨/ ٣٢٢ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٧١ .
(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٦٢أ .
(٣) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٧٥ .
(٤) في (س) : (قول أبي خراش) زيادة .
(٥) انظر : ديوان الهذليين ٢/ ١٥٩ ، والحماسة لأبي تمام ١/ ٣٨٦ ، والإنصاف لابن الأنباري ٣٩٠ ، وتهذيب اللغة (هبذ) ٦/ ٢٧٦ ، واللسان (هبذ) ٣/ ٧٦١ ، والخزانة ٥/ ٤١٩ .
والنحض : اللحم ، والقطعة الضخمة منه تسمى نحضة ، والمنحوض والنحيض : الذي ذهب لحمه . والمهابذة : الإسراع . وهابذ : أسرع في مشيته أو طيرانه . والمشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين . انظر : اللسان (مشش ، نحض ، هبذ) ٣/ ٤٨٨ ، ٥٩٧ ، ٧٦١ .

بتمكينها حتى أمسكت على ثقلها وضخم أبدانها ، من الذي أمسكها وسخر لها الهواء ؟ وهو معنى قوله : ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ؛ أي في الحالتين ، جميعاً . في حال الصف والقبض ، وفي ذلك أكبر الآية ، وأوضح العبرة . وهذا كقوله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الآية [النحل :٧٩] .

٢٠-٢١. ولما كان الكفار يمتنعون عن الإيمان وينكرون التوحيد مع وضوح الأدلة صاروا كأنهم يمتنعون من عذاب الله بجند ، وأشبهت حالهم من يملك دفع العذاب إن أتاه ، فقال الله تعالى منكراً عليهم أن[١] يكون لهم امتناع من عذابه[٢] ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ﴾ ، وهذا نسق على قوله : ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ﴾ ، ولفظ الجند يوحد ، ولذلك قال[٣] ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ ﴾ وهو استفهام إنكار ؛ أي لا جند لكم ﴿ يَنصُرُكُم ﴾ يمنعكم من عذاب الله . قال ابن عباس : «ينصركم مني إن أردت عذابكم»[٤] .

ثم ذكر أن ما هم فيه غرور ، فقال : ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ ؛ أي من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم ، ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾ ؛ أي من الذي يرزقكم من آلهتكم المطر إن أمسكه الله عنكم ، قاله مقاتل[٥] .

---

(١) في (س) : (أن) زيادة .

(٢) (ك) : (عذابه قوله تعالى) .

(٣) (س) : (قيل) .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١١٠ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢١٨ .

(٥) (س) : (قاله مقاتل) زيادة . وانظر : تفسير مقاتل ١٦٢أ .

قلت : حمْل الآية على عموم الرزق من إعطاء ومنع وخلق ورزق ونصر وغير ذلك أولى ، وما ذكره مقاتل من باب التمثيل أخذاً من قوله تعالى : ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات :٢٢] ، والله أعلم .

ثم قال : ﴿ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ ؛ أي ليسوا يعتبرون ولا يتفكرون ، لجُّوا في طغيانهم وتماديهم وتباعدهم عن الإيمان[١] .

٢٢. ثم ضرب مثلاً فقال : ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ ﴾[٢] ، والإكباب مطاوع الكب[٣] ، وذكرنا تفسيره عند قوله : ﴿ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ [النمل :٩٠] ، ويقال للسادر والهائم[٤] على وجهه في ضلاله : مكب على وجهه ، فضرب المكب على وجهه مثلاً للكفار ؛ لأنه أكب على وجهه في الغي والكفر يمشي ضالاً أعمى القلب . فهذا أهدى ، ﴿ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا ﴾ معتدلاً يبصر الطريق ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وهو الإسلام ، وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي ، وقول مقاتل ، ومجاهد ، والضحاك[٥] .

وقال الكلبي : «راكباً رأسه في الكفر والضلالة كما تركب البهيمة رأسها»[٦] . وقال مقاتل : «يعني أبا جهل والنبي ﷺ»[٧] .

---

(١) لجَّ : اللجاج : التمادي والعناد في تعاطي الفعل . المفردات (لج) ٤٤٧ .

(٢) (أهدى) ساقطة من (س) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٧٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٠٣ ، وروح المعاني ٢٩/ ٢٠ ، وذكر جواز الوجهين وقول بعض الأئمة بتسوية المطاوعة والصيرورة .
ورد الزمخشري هذا ، فقال : «أكب من باب أنفض وألام ، ومعناه دخل في الكب ، وصار ذا كب ، ومطاوع كب وقشع وانكب وانقشع» ، الكشاف ٤/ ١٢٤ .
قال النيسابوري : «ولا يخفى أن هذا نزاع لفظي» ، وغرائب القرآن ٢٩/ ١١ .
ومعنى المطاوعة : الموافقة ، والنحويون ربما سمَّوا الفعل اللازم مطاوعاً . اللسان (طوع) ٢/ ٦١٥ .

(٤) السادر : هو الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع .
والهائم : الحائر . يقال : هام في الأمر يهيم إذا تحير فيه . اللسان (سدر) ٢/ ١١٩ ، و(هيم) ٣/ ٨٥٧ .

(٥) في (س) : (وهذا قول ابن عباس) إلى (الضحاك) زيادة .
وانظر : تنوير المقباس ٦/ ١١٠ ، ١١١ ، وتفسير مقاتل ١٦٢أ ، وجامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢١٩ .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٥٨ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٧٢ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٦٢أ ، وغرائب القرآن ٢٩/ ١١ .

وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد أبا جهل وحمزة بن عبد المطلب»[١] .

وقال عكرمة[٢] : «هو أبو جهل وعمار بن ياسر» .

وقال قتادة : «هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكبّاً على وجهه يوم القيامة ، كما قال : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ [الإسراء :٩٧] ، والمؤمن يمشي سويّاً»[٣] .

قوله : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أنكم لله غير طائعين»[٤] .

وقال مقاتل : «يعني بالقليل أنهم لا يشكرون رب هذه النعم فيوحدونه»[٥] .

٢٥. وذكر الله تعالى أنهم يستعجلون وعد العذاب بقوله : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ ، ثم ذكر حالهم عند معاينة العذاب ، فقال :

٢٦. ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ يعني العذاب ، ﴿ زُلْفَةً ﴾ يعني قريباً . قاله المفسرون وأصحاب العربية . قال ابن عباس : «يريد : فلما قرب منهم العذاب»[٦] .

---

(١) انظر : غرائب القرآن ٢٩/ ١١ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢١٩ .

(٣) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٥ ، وجامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٧ .

(٤) لم أجده .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٦٢أ ، وزاد المسير ٨/ ٣٢٤ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١١٢ ، ولفظه : «﴿ زُلْفَةً ﴾ قريباً ، ويقال : معاينة» .

وقال مقاتل : «لما رأوا العذاب في الآخرة قريباً»[١] . وذكرنا الكلام في الزلف والزلفى والزلفة ، وهي بمنزلة القربى[٢] . وقال الحسن : «رأوه معاينة»[٣] . وهو معنى وليس بتفسير ، وذلك أن ما قرب من الإنسان رآه معاينة[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ . قال ابن عباس وغيره : «اسودت وعَلَتْها الكآبة والقترة»[٥] .

وقال أبو إسحاق : «تبين فيها السوء»[٦] . وأصل السوء القبح . والسيئة ضد الحسنة . والسواء : المرأة القبيحة ، وذكرنا هذا قديماً[٧] ، ويقال : ساء الشيء يسوء فهو سيئ إذا قبح ، وسيء يساء إذا قبح . وهو فعل لازم ومجاوز[٨] . فمعنى : ﴿ سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ﴾ ؛ أي قبحت بالسواد وأثر الكآبة كما ذكر المفسرون[٩] .

وقوله : ﴿ وَقِيلَ ﴾ ؛ أي وقالت لهم الخزنة : ﴿ هَٰذَا ﴾ العذاب ﴿ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾ . قال الكلبي : «تسألون في الدنيا»[١٠] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٦٢ أ ـ ب .

(٢) عند تفسيره الآية (٦٤) من سورة الشعراء . قال : «الزلفى في كلام العرب القربى ، وقال أبو عبيدة : أزلفنا : جمعنا ، قال : ومن ذلك سميت مزدلفة جمعاً» .

(٣) انظر : جامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٠ .

(٤) في (س) : من قوله (وهو معنى) إلى (معاينة) زيادة .

(٥) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٥٩ أ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٧٥ ، وغرائب القرآن ٢٩/ ١١ .

(٦) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠١ .

(٧) في (س) : (وذكرنا هذا قديمًا) زيادة .

(٨) انظر : اللسان (سوأ) ٢/ ٢٣١ .

(٩) في (س) : (كما ذكر المفسرون) زيادة .

(١٠) انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٥٩ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٠ ، وهو قول أكثر المفسرين .

وقال مقاتل : «تمنُّون في الدنيا»[١] . قال الفرَّاء :« تدعون»[٢] . وهما واحد ؛ مثل (تذْكرون) و(تذَّكرون) ؛ و﴿ تَدَّخِرُونَ ﴾[٣] و(تَدَخرون) . وقال المبرِّد : «معناه تستعجلون» . تقول : دعوت بكذا إذا طلبته ، وادَّعيتُ به افتعلت ، من هذا . وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد تكذبون»[٤] .

قال أبو إسحاق : «تأويله في اللغة : هذا الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأكاذيب ؛ أي تدعون أنكم إذا متم وكنتم تراباً أنكم لا تخرجون»[٥] ؛ ونحو هذا قال أبو عبيدة : «تكذبون وتردون»[٦] . ومعناه ما ذكره أبو إسحاق .

وقال غيره[٧] : «معناه هذا الذي كنتم ببطلانه تدعون» ؛ أي تدعون أنه باطل لا يأتيكم[٨] ، وكأن هذا أقرب من قول أبي إسحاق .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٦٢ب ، ولفظه : «يعني تمترون في الدنيا» .

(٢) أشار الفرَّاء بهذا إلى قراءة التخفيف : (تدْعون) وهي قراءة شاذة نسبت للحسن ، والضحاك وغيرهما ، وقراءة الجمهور بتشديد الدال . انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧١٢ ، والمحتسب ٢/ ٣٢٥ ، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٤ .

(٣) (تذكرون) حيث وقع إذا كان بالتاء فقط خطاباً ، فقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص : (تذْكُرون) بتخفيف الذال ، وقرأ الباقون : (تَذَّكرون) بالتشديد . و﴿ تَدَّخِرُونَ ﴾ من سورة آل عمران ٤٩ ، فالجمهور﴿ تَدَّخِرُونَ ﴾ بتشديد الدال وفي قراءة شاذة بتخفيفها .
انظر : النشر ٢/ ٢٦٦ ، والإتحاف ٢٢٠ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧١ ، والكشاف ١/ ١٩١ ، وروح المعاني ٣/ ١٧٠

(٤) في (س) : من (وقال المبرِّد . . .) إلى هنا زيادة . ولم أجد قول ابن عباس ولا المبرِّد .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٠١ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٦٢ .

(٧) في (ك) : (وقيل) .

(٨) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ٧٥ .

والقول هو الأول بدليل قراءة من قرأ : (تَدْعُونَ) من الدعاء . وهذا لا يحتمل التكذيب ، ومعناه : كنتم به تستعجلون وتدعون الله بتعجيله[١] .

٢٨. قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ ﴾ بعذابه ﴿ وَمَن مَّعِيَ ﴾ من المؤمنين ﴿ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ فلم يعذبنا ، ﴿ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ؛ أي يمنعهم ويؤمنهم ﴿ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، والمعنى : إنا مع إيماننا بين الخوف والرجاء نرجو رحمته ونخاف عذابه ، فمن يجيركم مع كفركم من العذاب ، أي إنه نازل بكم لا محالة ولا رجاء لكم كما للمؤمنين . هذا معنى قول المفسرين[٢] .

وقال أهل المعاني[٣] : إن الكفار كانوا يتمنون موت النبي ﷺ وأصحابه ، فقال الله تعالى : قل لهم : ﴿ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ ﴾ بالإماتة ﴿ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ بتأخير آجالنا ، فأيُّ راحة لكم في ذلك ؟ وأيُّ أمان لكم من العذاب ؟ وما الذي ينفعكم ذلك ؟ أي إن أهلكنا لا يرد عنكم العذاب ، ولا بقاؤنا . وكلاهما عندنا[٤] سواء .

٢٩. ثم قال : ﴿ قُلْ ﴾ لهم في إنكارك عليهم وتوبيخك لهم ﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ من الضال منا : أنحن[٥] أم أنتم ؟ أي ستعلمون ذلك عند معاينة العذاب ؛ وهذا تهديد لهم . وقراءة العامة على المخاطبة .

---

(١) وهو اختيار الفرَّاء وابن جرير والنحاس ورواية الكلبي عن ابن عباس . انظر : تنوير المقباس ٦/ ١١٢ ، ومعاني القرآن ٣/ ١٧١ ، وجامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٨ ، وإعراب القرآن للنحاس :٣/ ٤٧٦ .

(٢) في (س) : (هذا معنى قول المفسرين) زيادة .

(٣) انظر : جامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٨ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٥٩ب ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٧٦ .

(٤) في (ك) : (وكلاكم) ، وفي (س) : (عندكم) .

(٥) في (س) : (أنحن) زيادة .

وقرأ الكسائي بالياء[١] لقوله : ﴿ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢] .

٣٠. ثم احتج عليهم بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ قال أبو علي : «﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ معناه هاهنا انتبهوا ؛ كأنه[٣] قال : انتبهوا ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم ﴾ كقوله : ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ [الكهف :٦٣] ولا يكون جواب الجزاء[٤] الذي هو ﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ ، ولكن جوابه ما دل عليه ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ الذي[٥] هو بمعنى انتبهوا ، كما أن الفاء في قوله : ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة :٩١] ليس بجواب (إن) ، إنما هو جواب (وأما)[٦]» ، قال عطاء والكلبي عن ابن عباس ، ومقاتل : «يعني : ماء زمزم»[٧] .

قوله : ﴿ غَوْرًا ﴾ ؛ أي ذاهباً في الأرض ؛ يقال : غار الماء يغور غوراً ، إذا نضب وذهب في الأرض . والغور هاهنا بمعنى الغائر[٨] سمي بالمصدر . يقال : رجل ضيف وعدل وزور[٩] .

---

(١) انظر : حجة القراءات ٧١٦ ، والنشر ٢/ ٣٨٩ ، والإتحاف ٤٢١ .

(٢) انظر : الحجة ٦/ ٣٠٨ .

(٣) في (س) : (كأنه) زيادة .

(٤) في (ك) : (جزاء الجواب) .

(٥) في (ك) : (الذي الذي) .

(٦) انظر : المسائل الحلبيات للفارسي ٧٨ .

(٧) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١١٣ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٦٠ أ ، وفتح الباري ٨/ ٦٦١ .
قال الألوسي : «وأيّاً ما كان فليس المراد بالماء ماء معيناً ، وإن كانت الآية كما روى ابن المنذر والفاكهي عن الكلبي نازلة في بئر زمزم وبئر ميمون الحضرمي» . روح المعاني ٢٩/ ٢٢ .

(٨) في (س) : (الغائب) .

(٩) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ١٧٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ٢٠١ .

وقولــه تعــالى : ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ ؛ أي ظاهر تراه وتنالــه الدلاء . قاله المفــسرون[١] . وقال مجاهد : «المعين : الجاري»[٢] . وقد ذكرنا القولين عند قوله : ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[٣] والاختلافَ وما هو الاختيار .

* * *

(١) انظر : تنوير المقباس ٦/ ١١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٢ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٨٦ ، وجامع البيان ١٢/ ٢٩/ ٩ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٦٠ أ .

(٣) عند تفسيره الآية (٥٠) من سورة المؤمنون .